ظاهرة الثورة كاداة للتغيير الاجتماعى

الدكتور ابراهيم درويش

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة

يعنينى أن الفت النظر الى ضرورة التمييز بين عمليات التطور العادى المتضمنة للتغييرات الاجتماعية والثقافية ، وبين تلك الظاهرة المسماة « بالثورة » ، وما تفضى اليه من تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية . فعمليات التطورالعادى تتسمبالبطء حيث تحدث من خلال تطور بطىء وبطريقة منتظمة فتتم من خلال تدرج معين وذلك على عكس الحال فى ظاهرة الثورة فان التغيير الذى يحدث منخلالها يتم بسرعة ويتسم بالفجائية حيثيكون التحول الذى تحدثه الثورة فجائيا ، ويستهدف احداث تغيير فى البناء السياسى والاتجاه الثقافى .

ومن هنا فقد يستلزم احداث هذا التغير الفجائى الجذرى استعمال عنصر العنف ابتغاء تحقيقه بهذه الصورة .

ومعنى ذلك أن عنصر العنف السياسى ليس من طبيعة الثورة ولكنه قد يستلزم فى صورة أو أخرى وفى بعض مراحل التخطيط الثورى وفقا لتطور التكتيك الثورى نفسه ، وما تفرضه الظروف التى تمر بها الاستراتيجية الثورية للثوار .

وفى الاغلب الاعم يظهر عنصر العنف بعد ما تجتاز الثورة الفترة الاولى ـ بما فيها من فترة الاعتدال الى فترة التطرف ، وقد لا تمر الثورة بهذه المرحلة اذا كان مناخها الثورى لا يستلزمذلكبطبيعته .

والظواهرالاختبارية تثبت أن هناك علاقة سببية بينعنصر العنف الثورى، وبين درجة التغيير وفى الرغبة فى سرعة احداث هذا التغيير ، ومن هنا فان دراسة العنف كعنصر فى الثورة فى منتهى الاهمية وفقا لاستقراء الحوادث التى حدثت فى التاريخ السياسى .

أسباب الثورة :

ان الذى يلفت نظر الباحث بصورة عميقة ـ فى ظاهرة الثورة هو تأصيل الاسباب التى تؤدى الى قيامها .

ومن استقراء الحوادث فى تاريخ الثورات التى حدثت فى الواقع السياسى يمكن أن نخلص الى فرض يصطبغ بصبغة عمومية ويصدق بصورة اطلاقية على

كافة ظاهرة الثورات من حيث الاسباب التى تؤدى الى قيامها · هذا الفرض ينصب فى الصورة الاتية :

« ان على النظام السياسى أن يؤمن استقراره وذلك بالاستجابة الى لزومية التغير الذى تستوجبه الطبيعة والمناخ السياسيان وتفرضه الظروف المختلفة وتستلزمه الثورات الفنية التى يحياها عالم اليوم ، فان تخلف النظام السياسى عن الاستجابة الىلزومية التغيير فقد عنصر المرونة فيه ، ومن ثم فتح الباب على نفسه أمام طريق العنف السياسى أيا كانت صورته ودرجته · وذلك لاحداث هذا التغيير والذى يتمثل فى صورة أصلية فى ظاهرة الثورة . »

ومن هنا قيل بأن التشابك بين ما يجب أن يكون ، وبين ما عليه الحال ، بين المطلوب وبين المنجز من أداء المطلوب كل ذلك اذا لم ينجح النظام السياسى فى ترجمته الى قرارات تحقق لزومية التغيير وفق طبيعة عقيدته السياسية فلن يكتب له حياة طويلة ، ومن ثم تكون الثورة ·

وتفريعا على ما تقدم فانه من الممكن أن نبحث عن أسباب الثورات فى ضوء الفرض السابق ، لكن من الاوفق أن نبحث عن أسباب كل ثورة على حدة بجانب الاسباب التى تتسم بالعمومية فى ظل الفرض السابق ·

ومعنى ماتقدم أنه يجب البحث عن أسباب كلثورة على حدة ــ بالاضافة الى الفرض السابق ــ وذلك وفق ظواهرها التاريخية وتطوراتها البعيدة المدى فى التاريخ الحضارى والانسانى · وهذا بطبيعته يختلف من ثورة الى ثورة ، ولذلك فالافضل أن يكون منهج البحث فى ضوء تأصيل أسباب الثورات أن يتبع دراسة الحالة بدلا من الدراسة العامة والتى يستحيل عموميتها الا وفق ما سبق بيانه فى ضوء الفرض الاختبارى الذى حددناه .

تقسيم الثورات :

١ ــ تقسيم « فيلكس جروس Feliks Gross

قسم جروس الثورات الى أربعة أنواع :

أ ــ الثورة من أعلى : أى الثورة من القمة وتأتى نتيجة تحرك جماعة من القوات المسلحة بقصد الاستيلاء على القوة السياسية والاطاحة بالحكومة القائمة ، والسيطرة علىوسائل الاعلام كمحطاتالاذاعة والتليفزيون ، ووسائل المواصلات الهامة ، ومحطات القوى الكهربائية ، والمبانى الحكومية الهامة فى العاصمة .

ب ــ الثورة من أسفل : أى الثورة من القاعدة وهى حركة شعبية غير منظمة فى الاغلب الاعم نمت ببطىء فى عمليات ثورية وانفجرت فجأة بتحرك جماهيرى هائل · والثورة من أسفل تحدث عادة نتيجة استياء اجتماعى ومعاناة ضخمة من قبل الشعب وحصيلة تناقض طبقى وصراع عنيف بين طبقات المجتمع ..

جـ ــ الثورة المشتركة : وتعنى الاستيلاء المشترك على القوة السياسية وهى نتاج عناصر مشتركة من الثورة من أعلى والثورة من أسفل .

د ــ ثورة القصر : ويقصد بها انتقال القوة السياسية بطريق العنف داخل الفريق الحاكم نفسه(١) .

٢ ــ تقسيم الفكر الماركسى :

يقسم الفكر الماركسى الثورات الى نوعين هما :

أ ــ الثورة السياسية : وتعنى فى المفهوم الماركسى احداث تغييرجزئى فى البناء السياسى دون أدنى تغيير فى البناء الاجتماعى ، بمعنى أن تبقى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما هى قبل الثورة . وتتضمن الثورة السياسية انتقال القوة السياسية من الطبقة الحاكمة القديمة الى طبقة حاكمة جديدة تحت زعامة جديدة . بعبارة أخرى فى حالة الثورة السياسية فان الذى يحدث هو انتقال جزئى لشكل القوة السياسية فى داخل المجتمع ، ولكن الاساس الذى تقوم عليه الجماعة السياسية ــ فى حياتها السياسية ــ يبقى كما هو ، بمعنى استمرارية البناء الطبقى للمجتمع كما هو دون المساس به .

ب ــ الثورة الاجتماعية : وهى تختلف عن الثورة السياسية على الاقل فى أساس جوهرى ، ذلك أن الثورة الاجتماعية لا تعنى فحسب انتقال القوة السياسية ولكن يجب أن يتبع ذلك سريعا تغييرات أساسية فى النظام الاجتماعى . ولذلك فان الثورة الاجتماعية تقدم اختلافات جوهرية فى الاستراتيجية والتكتيك الثورى وذلك بعكس الحال فى حالة الثورة السياسية والتى هى بالتعريف تسعى الى تحقيق هدف ضيق ومحدود(٢) .

خصائص الثورة الاجتماعية :

فى هذا الصدد يقدم لنا « اسكوت نيرنج Scott Nearing » أهم خصائص الثورة الاجتماعية ، وذلك ما يميزها عن غيرها من ظواهر التغيير الاجتماعى .

فاولا : الثورة الاجتماعية تتضمن بيقين تغيير سريع فى البناء الاجتماعى وفى النظرة الاجتماعية للجماعة .

وثانيا : الثورة الاجتماعية تعنىحركة جماعة ضد أخرى بمعنى سعى جماعة معينة بحركتها كى تحل محل جماعة أخرى .

وثالثا : الثورة الاجتماعية حركة متضمنة الغاء وسائل المصالحة ومؤمنة بفكرة العمل المباشر .

ورابعا : الثورة الاجتماعية حركة تسعى الى تحقيق أهداف اجتماعية بما تنادى به من برامج وسياسات اجتماعية .

وخامسا : الثورة الاجتماعية يجب أن تنجح فى احداث تغيير فى حياة أو نظرة الجماعة فاذا لم يحدث هذا التغير فانه لا يمكن أن نطلق عليها ثورة اجتماعية أو أن ثورة اجتماعية قد أخذت مكانها(٢) .

تقدير التقسيمات السابقة :

الرأى عندى أن هذه التقسيمات السابقة للثورات ــ تقسيمات مذهبية فى الاغلب الاعم ، ومعنى ذلك أنها ليست بالضرورة صحيحة من الناحية التاريخية ، ومن ثم فلا يمكن تقبلها كمعايير سليمة . فعلى سبيل المثال ليست كل الثورات الاجتماعية التى حدثت فى الواقع السياسى قد تبنت الخط الثورى للماركسية ، وأيضا فان بعض الثورات السياسية قد اتسمت بالصراع الطبقى .

واذا ما حاولنا تطبيق الرأى السابق على الثورات الاجتماعية الاربعة الكبرى التى تناول دراستها « برنتن وسوروكن Brinton and Sorokin » لوجدنا أن الثوار قد اكتسبوا تأييدا من العامة والفقراء والكادحين ، مع أن الظاهرة الهامة فى هذا الصدد تؤكد أن زعماء الثورات قد أتوا من طبقات ذات مستويات عالية فى النظام اجتماعى (٤) .

ومن جهة أخرى فان الذى يحدث عقب نجاح الثورة الاجتماعية هو اعادة تنظيم اجتماعى فى البناء الذى أصابه التغيير عقب الثورة ، وبالنسبة لبعض الجماعات الاجتماعية الاخرى .

ومعنى ذلك فانه يمكن القول بأنه ليس هناك احلال كامل لطبقة محل طبقة وهذا يصدق حتى بالنسبة للثورة المتطرفة المعروفة فى الفكر الماركسى باسم ثورة البروليتاريا والتى حدثت فى روسيا حيث اعتنقت بايمان وبدقة الخط الماركسى ــ اللينينى المتعلق بمفهوم ثورة « البروليتاريا » وأصبح هو الخط الرسمى للثورة البلشفية .

وفى الحقيقة فان هذه الثورات لم تحل بالكامل طبقة حاكمة جديدة تماما محل الطبقة الحاكمة القديمة وذلك الا اذا أهملنا المعنى الدقيق لمفهوم الطبقة .

ويلاحظ تواجد ونمو عناصر من الطبقات القديمة لا سيما فى الجيش والموظفين المدنيين وفى أرباب الاعمال والصناعة والسياسيين القدامى .

الى هنا نستطيع أن نخلص الى أن السلوك الثورى فى الثورة الاجتماعية يؤدى حتما الى الوصول الى خصيصتين متفق عليهما خاصتين بالثورة الاجتماعية وهما :

الخصيصة الاولى : تغيير البناء الاجتماعى وسرعة تبديل الطبقة الحاكمة ، والتغيير الكلى للزعامة والقيادة .

الخصيصة الثانية : استعمال العنف أو على الاقل الاحتمال المؤكد لاستعمال العنف أو الخروج على مبدأ الشرعية بالقيام بأعمال غير قانونية فى الظروف العادية ، ومن ثم الخروج على مبدأ الشرعية ·

ففى حالة الثورة الامريكية كان على القوات الثورية أن تحارب فى جبهات كثيرة فكان عليها ان تحارب الانجليز والقوات الاجنبية الاخرى ، وكان عليها أن تقاوم القوى المضادة للثورة ·

وفى حالة الثورة الانجليزية فقد كانت هناك على الاقل معركة فاصلة فى تاريخ هذه الثورة تلك التى حدثت بين جيش كرومويل وبين الجيش الملكى والخاص بالملك شارل الثانى · وفى حالة الثورتين الفرنسية والروسية فقد كان المميز الاساسى لهما هو استمرارية استعمال العنف الدموى وهو ما تضمنه السلوك الثورى فيهما ·

عنصر العنف فى الثورة :

وتفريعا على ما تقدم فان استعمال عنصر العنف فى الثورات الاجتماعية الاربعة السابقة يوضح فى داخل السلوك الثورى لهذه الثورات مظهرا محددا قوامه الفرض الاتى : ــ

« انه كلما اعتمد الثوار على استعمال العنف كأداة لتحقيق الاهداف الثورية فان انتقال القوة السابقة تتم بسرعة فائقة من المعتدلين الى المتطرفين » · ونستطيع أن نتفهم هذا الفرض السابق فى ضوء مفهوم بارتو (Pareto) عن الدورة الطبقية التى تتم من خلالها العملية الثورية ، ويعنى هذا المفهوم تزايد عناصر ممتازة من الطبقات الدنيا وتواجد عناصر أدنى مرتبة من أفراد الطبقات العليا ، وكلما استخدمت وسائل العنف من جانب القوى الثورية لتحطيم الحواجز الطبقية كلما كان هذا بمثابة افساح الطريق أمام « الثعالب الثورية » الجدد ليحلوا محل « الاسود القدامى » وذلك حيث يتمكن الاول من النجاح والاستيلاء على القوة السياسية (٥) .

العمليات الثورية :

قدم لنا « برنتون Brinton » نتيجة خلص اليها من تحليله للثورات الامريكية والانجليزية والفرنسية والروسية ــ صبها فى مراحل متعددة هى قوام العملية الثورية تتلخص فى الاتى : ــ

أولا : مرحلة اصطدام الثوار بالنظام القديم ·

ثانيا : مرحلة الاستيلاء على القوة السياسية ·

ثالثا : مرحلة تولى المعتدلين السلطة لفترة معينة ·

رابعا : مرحلة انتقال السلطة من المعتدلين الى المتطرفين ·

خامسا : مرحلة الصراع التى تتسم بالفزع والعنف .

سادسا : مرحلة تثبيت السلطة وتدعيم مركز الثوار .

وتفريعا على ما تقدم وفق تحليل برنتون Brinton فان العمليات الثورية بعد تحطيم النظام القديم تتميز بالجنوح نحو انتقال القوة السياسية او بمعنى هذه القوة من اليمين الى الوسط ثم فى النهاية الى اليسار .

ويلاحظ أن فريق المعتدلين هم الافضل فى تولى السلطة فى المرحلة الاولى من الثورة وفقا لمفهوم الاستراتيجية الثورية اذ يمكن من خلالهم تثبيت وتدعيم السلطة ، ولكن بيقين فان فريق المتطرفين عاجلا أو آجلا سوف يستولون على القوة السياسية ويحلوا محل المعتدلين ، ويؤكد برنتون Brinton هذا المعنى حيث يعتقد ان المعتدلين هم انسب القادة للاطلاع بالمسئولية وارساء قواعد البناء السياسى فى المرحلة الاولى من الثورة ، اى فى العملية الثورية الاولى ولكن فى النهاية فان القوة السياسية سوف تنتقل الى المتطرفين(٦) .

مرجع ذلك الى حقيقة اختباريةهامةوهى أن البناء الاجتماعى قد انهار تماما فى المرحلة الاولى من الثورة الاجتماعية وفى هذه الفترة يشتد اندفاع المد ، وتزداد حمى الثورة تأججا وغليانا الى حد يتعذر معه على اية جماعة سياسية أن تقف فى مواجهة العملية الثورية وربما يقتضى ان ينتج عن ذلك بالضرورة استخدام وسائل العنف والقسر .

ويرى سوروكن Sorokin فى دراسته عن الثورة الاجتماعية انه بعد تحطيم النظام القديم فانالثورة تفتح الباب على مصراعيه امام الانفعالات المكبوتة لدى الجماهير والتى تراكمت وتزايدت فى الفترة السابقة على قيام الثورة • فنجد امامهامنطلقا تنفذ فيه وينتج عن ذلك نوع من الفوضى والتحلل من القيود والتطرف ، والنتيجة أن التصدى لهذا الاندفاع أو محاولة وقفه فى الايام او الشهور الاولى للثورة امر فى غاية الخطورة ولكن بمرور الوقت فان الضعف والوهن يتسربان الى هذا الاندفاع فتظهر عليه علائم الاعياء تدريجيا ، وفى ذات الوقت فان طبقة المتطرفين من الثوار تكون قد استولت على السلطة وتستطيع حينئذ أن تستخدم وسائل القمع لانهاء هذا الاندفاع وما يكون قد نتج عنه من فوضى وذلك من خلال البناء السياسى الجديد الذى تقيمه الطبقة المتطرفة من الثوار والتى من خلاله تبدو علائم المجتمع الجديد(٧) .

وبطبيعة الحال فانه فى المرحلة الاولى التى تتسم بالفوضى والاضطراب السياسى ، فان الثوار يعتقدون بتقوية انفعالات الجماهير وميولهم نحوهم • ومعنى ما سبق انه يصبح من الخطورة كبح انفعالات الجماهير او التصدى لها فى هذه الظروف ويؤدى ذلك ايضا الى استحالة اتباع عقيدة معينة ، ومن هنا وكما سبق ان وضحنا من قبل فان المعتدلين هم أنسب القادة للبقاء فى السلطة والسيطرة عليها فى هذه المرحلة من حياة الثورة . بيد أنه بمرور الوقت ومع

ازدياد المشاكل والصعاب فان النضال من اجل القوة السياسية يصبح امرا حتميا ، ومن ثم فان المتطرفين يستولون على السلطة ويسيطروا عليها ، وذلك هو النموذج العام لانتقال السلطة فى الثورات الاجتماعية .

وتظهر لنا الدراسة التحليلية التى قام بها كل من برنتون Brinton وبيتى Pettee ظاهرة التوتر الاجتماعى والسياسى التى تحرك المواقف الثورية ، ويمكن ان تتلخص فى عدم كفاءة البناء الحكومى مع تزايد عدم الرضا لدى الجماهير وتزايد المطالبة باحداث تغييرات اكثر تطرفا فى نظام الحكم القائم .

ويؤدى تطور الاحداث فى المرحلة الاولى من الثورة الى حدوث مناقشات صاخبة ومعقدة والى تواجد فريقين يعارض كل منهما الاخر تماما ، ولربما يؤدى ذلك بدوره الى فتح باب العنف السياسى(٨) .

ويمكن ان نطلق على احد هذين الفريقين اسم حزب او تنظيم النظام القديم والاخر حزب او التنظيم الثورى . وفى خضم هذه الاحداث التى تتسم بالقلاقل والاضطرابات السياسية والاجتماعية التى تجتاح المجتمع ــ فان التنظيم الثورى يبزغ ويتقدم كى ينشر ويثبت الوعى الثورى ويتولى قيادة الجماهير .

وقد قام برنتون Brinton بعملية اختبار للمدرستين الثوريتين الاساسيتين فى الفكر الثورى وهما :

المدرسة الاولى : تلك التى تؤمن بالعمل الثورى غير المخطط والذى لم يعد مسبقا لعملياته السياسية .

المدرسة الثانية : وهى منبثقة من الفكر الماركسى وتؤمن بضرورة اعداد تخطيط محكم للثورة .

ولقد عارض برنتون Brinton كلتى المدرستين مبينا انهما عبارة عن وجهة نظر فحسب ولا يعتد بهما كثيرا ومقررا بأن الثورات تنمو من بذور بذرت من رجال آمنوا بالتغيير وجاهدوا من اجله وهؤلاء الرجال يعملون جاهدين للحفاظ على ما بذروه ويتعهدونه بكل عناية فهم بمثابة اوصياء على بذورهم وهم لا يعملون ضد الطبيعة ولكنهم يعملون فى ارض ومناخ ومحيط مناسب لهدفهم ومحقق ومساعد عليه والنتيجة النهائية والطبيعية هى الثمرة التى تنتج وتنضج من بذور هؤلاء الرجال وهى الثورة(٩) .

التنظيم الثورى ومشكلة الخلافات بين قادة الثورة :

يعنينى أن ألفت النظر الى حقيقة اختبارية هامة هى أنه ابتغاء تفهم نظرية الثورة بصورة منطقية ــ فانه يجب تفهم مشكلة الخلافات بين قادة الثورة من خلال التنظيم الثورى وما يحدث فيه من منازعات .

وفى هذا الصدد فان « موسكا Moca وبارتو Pareto » يذهبان الى أن كل الطبقات الحاكمة تسعى عادة الى تبرير سيطرتها عن طريق نشر افكار تتقبلها الغالبية العظمى من الجماهير . وهذه الافكار تعكس بصورة أو بأخرى شخصية وعمل الطبقة الحاكمة فى نطاق التغيير الاجتماعى ، كما أن الاسطورة التى تبنى عليها هذه الافكار تعبر عن روح العصر الذى تعيش فيه وعن بواعث المجتمع الكائن ومصالحه واهدافه (١٠) ٠

وبالاضافة الى ما تقدم فان هذه الافكار او الاسطورة انما تكون جانبا هاما وضروريا فى نطاق القوة السياسية الخاصة بالطبقة الحاكمة ، والتى تهدف الى اضفاء صفة الشرعية عليها ٠ ولكن هذه الافكار والمعتقدات تفقد شعبيتها وقوة جاذبيتها لدى الجماهير اذا لم تنجح فى التمشى والانسجام مع الاوضاع الاجتماعية والسياسية المتغيرة باستمرار

ويلاحظ انه فى المرحلة الاولى من الثورة تظهر عادة كثير من الافكار السياسية المعادية للافكار الثورية والتى يسعى اصحابها الى احلالها محل الافكار الثورية ٠ وهنا يحدث الصراع بين القادة القدامى والقادة الجدد ، كما يحدث أيضا منازعات وتعقيدات فى الافكار المتعددة الموجودة فى المجتمع .

ويعنينى أن أؤكد دائما ان المرحلة الاولى من الثورة تتميز ببزوغ كثير من الافكار السياسية والاجتماعية المتعارضة والمعادية لبعضها البعض ٠ ومن ناحية اخرى فان العنف السياسى يدخل فى هذه المرحلة فتستعمل القوة المادية للقضاء على الافكار المعادية وعلى الذين يتزعمونها وهذا بلا شك يعطل الاصلاحات الشاملة ولا يساعد على بلورة العقيدة السياسية الجديدة ٠

واحب أن الفت النظر الى أن الثوار فى هذه المرحلة يسعون بكل جهدهم الى السيطرة على القوة السياسية والتمكن منها ، وذلك من خلال تقوية وتدعيم الولاء الداخلى للثورة من قبل الجماهير وبالتوسع فى حجم التنظيم الثورى ، وهذا يفضى بطبيعة الحال الى زيادة العمليات السياسية ، وكثرة الالتزامات التى تقع على عاتق اعضاء التنظيم بجانب تنوعها ، وتعددها ، بحيث تغطى عددا كبيرا من المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ٠

ومعنى ذلك أن الحاجة تبدو ملحة الى ايجاد أنواع متعددة من الوظائف والمناشط المتخصصة ابتغاء تأكيد التعادل فى داخل نظام الجماعة السياسية والتنظيم الثورى ٠ هذه الوظائف المتخصصة تمثل العديد من المواقع والمسئوليات التى بدورها تحدد مواقع الموارد البشرية والمادية وتهدف الى استغلالها بأمثل طريقة وبأفضل اسلوب ابتغاء تحقيق الغايات والاهداف المنوطة بها والتى بدورها تحقق الترابط والولاء والطاعة فى الجماعة (١١) ٠

ويلاحظ أن توسيع مدى ونطاق التنظيم يؤدى او ينتج عنه اضعاف الروابط والعوامل الشخصية فى داخله ، بينما فى ذات الوقت يؤدى الى نتيجة خطرة

خارجية تتمثل فى تزايد الاخطار حوله . ويستلزم ذلك بطبيعة الحال من الثوار **ان يتبعوا تخطيطا على مستوى عال من الكفاءة والفن لتأمين الولاء وزيادته** وتدعيمه وقطع دابر من يرتد على الثورة أو يقف فى موقف مضاد لها ولتنظيمها **الثورى ، وهذا ما توضحه الظواهر الاختبارية من واقع الثورات الاجتماعية ٠**

والتنظيم الثورى الفعال يجب أن يملك من الوسائل الفنية الفعالة التى من خلالها يتمكن من تحقيق هدفين :

الهدف الاول : تأمين الولاء الداخلى والوحدة الداخلية فيه ٠

الهدف الثانى : خلق القيادات الثورية الامينة القادرة على زعامة التنظيم الثورى وقيادة الجماهير ٠

وفى هذا الصدد يصف « بيتى Pettee » خصائص العضوية الفعالة فى **التنظيم الثورى حيث يقول : « ان النقطة الرئيسية هى أمانة الشخصية الثورية وايمانها المطلق بالثورة فهذا هو محور الشخصية الثورية ومناطها ٠ فبهذا الايمان الحقيقى تتكون الشخصية الثورية ويمكن ان تكون محل ثقة بصرف النظر عن موقعها فى التنظيم قائدة كانت او عضوا عاديا ، وهذا هو ايضا المعنى الذى ذهبت اليه الماركسية فى تحديدها لخصائص الشخصية الثورية** الحقيقيـــة »(١٢) .

وهنا يقفز الى الذهن بصدد التنظيم الثورى مثال رائع من الواقع السياسى المعاصر والذى قدمه لنا الحزب الشيوعى باعتباره حزبا محكم التنظيم ومطبقا لاساليب فنية دقيقة يلخص لنا « تهاشيف Thachev » الملامح الرئيسية لهذا التنظيم فى دراسة قام بها سنة ١٨٧٠ فيقول « ان نجاح النضال الثورى يتوقف على تحقيق المركزية ، والنظام الصارم الحاد ، والسرعة الفائقة ، والعزم والتصميم ، والوحدة فى العمل ٠ بينما تؤدى اللامركزية وتعدد القيادات ، والمصالحة ، والحلول الوسط ، والاذعان ــ كل ذلك يؤدى الى ضعف التنظيم الثورى والعمل الثورى والتسبب فى فشله وضياع فرص النجاح وتحقيق الاهداف الثورية »(١٣) .

اسباب الخلافات بين قادة الثـورة :

ان التحليل السابق يصدق على التنظيمات والاحزاب الثورية ، اما فيما يتعلق بالعمل الثورى نفسه ، فانه يتطلب كفاءة أعلى وأدق فى التنظيم ابتغاء وضع العمل الثورى موضع التنفيذ لاحداث التغيير الاجتماعى فى داخل الثورة الاجتماعية ،ولعل ذلك قديؤدى الى خلق العديد من المنازعات العقائدية وأوجه الخلاف المتعددة حول التخطيط الثورى وذلك بدوره يؤدى الى أحداث خلافات **بين قادة الثورة فى داخل التنظيم الثورى نفسه وهو ماتثبته الظواهر الاختبارية التى يمكن اختيارها فى ضوء ما حدث من خلافات بين قادة الثورات الاجتماعية التى حدثت فى الواقع السياسى ، بل ان ذلك يمثل حقيقة هامة فى خصائص**

الثورة الاجتماعية بصورة عامة وتلك الخصيصة تساعدنا الى حد كبير فى تفهم سلوك الثوار فى داخل التنظيم الثورى قبل وبعد السيطرة على القوة السياسية وبعد المراحل الاولى للثورة · وتظهر لنا من واقع الحوادث الاختبارية اهم اسباب مشكلة الخلافات بين قادة الثورة حيث تركز « فى العمليات الثورية ، والتخطيط الثورى ، والبناء التنظيمى ، والاستراتيجية والتكتيك ، والاهداف الثورية ، والنزعات الشخصية » .

ويلاحظ ان ما يظهر من انقسامات ومنازعات سياسية قبل الاستيلاء على القوة السياسية يصبح اكثر وضوحا واتساعا وحدة بعد الاستيلاء على السلطة ؛ ومن ثم يزداد النضال السياسى بين قادة الثورة .ومعنى ماسبق أن مشكلة الخلافات والانقسامات بين قادة الثورة تكون « هادئة او ساكنة » قبل قيام الثورة وبعد تحقق نجاحها تأخذ طريقها الى الواقع السياسى · والسبب فى ذلك ان الثوار قبل الثورة يجمعون على هدف واحد يسعون بكل جهدهم الى تحقيقه وهو نجاح الثورة فى مرحلتها الاولى بالقضاء على النظام القديم والجماعات المضادة للثورة · بيقين فان هذا الهدف المجمع عليه من قبل الثوار يجعلهم فى شاغل عما يكون بينهم من خلافات لان النظام القديم والحكومة القديمة والجماعات المضادة للثورة ـ كل هذا يمثل الخطر الداهم عليهم وفى هذا ما يشغلهم كلية عما بينهم من خلافات ، ومن جهة اخرى فان وظيفة الثوار الاساسية قبل الاستيلاء على القوة السياسية تتركز حول تنظيمهم وما يجب ان يتبع من اساليب فنية فى تحديد الاستراتيجية والتكتيك الثورى والمشاكل التى يتوقع ان تواجه الثورة · والثوار فى هذه الفترة المبكرة فى التخطيط الثورى يسعون بكل قواهم الى تأكيد الترابط بينهم والى التعاون مع الجماعات الثورية الاخرى ان وجدت بصرف النظر عما يكون بينهم من خلافات عقائدية طالما انه يجمعهم هدف مشترك واحد وهو القضاء على النظام القديم · لكن بعد نجاح المرحلة الاولى من الثورة وتأكيد القضاء على النظام القديم وتمام السيطرة على السلطة ، فان أوجه الخلافات المختلفة تبدأ فى الظهور سواء فى ظواهرها العقائدية او الشخصية او الثقافية ومن ثم يحدث النضال والصراع من اجل السلطة بين قادة الثورة ، بل يصبح هذا النضال والصراع امر حتمى بينهم ·

مغزى مشكلة الخلافات بين قادة الثورة وأثرها على نظرية الثورة :

تشهد التجارب الثورية على أن الطبقات الكادحة هى القوة العظيمة للثورة ومعينها · فهذه الفئة « العادية » من الشعب معبئة بطبيعتها بما قاسته وعانته من ظلم ومرارة وحرمان ومن ثم فهى تسعى جاهدة بكل الوسائل للخروج من الحالة السيئة التى تعيشها . ولذلك تجد فى الثورة الاداة التى تستطيع من خلالها احداث التغيير لصالحها ·

بطبيعة الحال فان قادة الثورة هم مجلسها التنفيذى الذى يقع على عاتقه عبء وضع الخطة الثوريةوالعمل على تحقيقها ، وتعبئة الشعب لتحقيق اهداف الثورة ومن هنا فانه يجب علىقادة الثورة أنيخلقوا وسائلالاتصالوالترابط

بينهم وبين الشعب وبالذات الاعتماد على الفئة « العادية » من الشعب المشار اليها وذلك كى يتمكنوا من توجيه الجماهير وقيادتها نحو العمل السياسى وتثبيت دعائم الثورة وأيضا فانه يقع على عاتق مجلس قيادة الثورة توجيه وادارة الحوادث الثورية بمهارة ودقة ٠

ومن هنا نستطيع أن نخلص الى نتيجة قاطعة هى أن نقطة الارتكاز فى نجاح الثورة تتوقف على بناء استراتيجيتها وتكتيكها فذلك هو المعيار العام والذى يتوقف عليه بالتبعية بناء الزعامة الثورية وقادة الثورة بوجه أخص ، وهذا يصدق بصورة خاصة فى الثورات الشيوعية ٠

ويعنينى أن ألفت النظر الى أن استقراء الحوادث التاريخية ــ يؤكد لنا أن التنظيم الثورى العقائدى المحكم التنظيم والمركزى الادارة والتوجيه يختلف كلية عن ذلك التنظيم غير المترابط والمفكك والذى لاعقيدة له ٠ وتتعدد أوجه الخلاف بين النوعين من التنظيم الثورى ، وان كان أهمها جميعا بناء الزعامة فيها ٠ فالتنظيم العقائدى الموجه يهدف من خلال الثورة الى تحقيق اهدافه السياسية المحددة ، والتى بدورها تحدد طبيعة ونطاق الثورة ، وتعين من يناصرها ويؤيدها ، وتسعى لتثبيتها فى المواقف المختلفة والمواقع المتعددة التى تمر بها ٠ وفى النهاية يمكن من خلال هذه الاهداف النورية تبين من يقف ضدها ، ومن ثم يمكن ادخاله فى عداد اعداء الثورة او من أنصار الثورة المضادة ، بل يمكن القول أيضا بأن أهداف الثورة وأغراضها تساعد الذين يعدون لها فى مراحلها المبكرة وفى اقامة تنظيمها الثورى ــ على اختيار أنواع معينة من الشخصية الثورية يمكن ضمها الى عضوية التنظيم الثورى كثوار أصلاء .

وتنهض الاستراتيجية الثورية والتكتيك الثورى بمسئولية تخطيط وتعبئة كل الوسائل الثورية لانجاح أغراض الثورة وأهدافها السياسية ، بل ان الاستراتيجية وهى فى الحقيقة قلب الثورة ونقطة ارتكازها تحدد الى حد بعيد شكل الزعامة الثورية وبنائها .

ويلاحظ أن الاستراتيجية الثورية والتكتيك الثورى هما اللذان يوجهان الثوار فى تنظيمهم وفى عملهم التكتيكى ، ومن هنا نستطيع القول بأن طبيعة العمل الثورى فى مرحلة استراتيجية معينة وفى مرحلة تكتيك معين تتطلب مهارة شخصية ثورية تستطيع النهوض بالعمل الثورى وفق الاستراتيجية الخاصة به ٠ ومن جهة أخرى فان فن التنظيم ومبادىء التكتيك هما المسئولان عن وضع العمل الثورى موضع التنفيذ الفعال ٠ ففى حالة التنظيم المركزى المحكم فى نطاقه وعضويته فان أفراده يتمتعون بتدريب عقائدى واسع وبوحدة داخلية متينة وطاعة مطلقة لسلطة التنظيم . ومن ثم فان حرية الفكر تكاد تكون منعدمة أو مقيدة للغاية ٠ ومثل هذا التنظيم تكون زعامته مكونة من أعضاء قليلين جدا تكون قمة زعامته ويتمتع كل عضو بالسيطرة على عدد كبير من أعضاء التنظيم . وبلا شك فان قمة الزعامة هذه تتمتع بمهارة وضبط وتأثير كبيرين لما

تملك من وسائل العمل الثورى الذى يساعد فى تحقيق الوظائف الثورية . فالخصائص المميزة للتنظيم العقائدى المركزى والمحكم التنظيم ـ هى التى تميزه عن التنظيم غير العقائدى . ففى حالة التنظيم الاخير تبزغ الزعامة الثورية بما تملكه من وسائل الشخصية والمركزية والمهارة والمعرفة والذكاء وبما تحصل عليه من مقدرة تكتيكية · ومثل هذا التنظيم يتكون عادة من مجموعات مختلفة من الافراد والافكار « والالوان » المتعددة · ويلاحظ أن النزاع الداخلى فى داخل التنظيم الثورى يكون معرضا للظهور فى أى وقت من أوقات الاثارة السياسية ولكن قد يبقى كامنا ابتغاء الحفاظ على الاهداف الثورية التى تسعى اليها الثورة . ومن جهة أخرى فان تنظيما ثوريا بهذه الطبيعة ليست لديه المقدرة الكافية لقيادة الجماهير والتمكن من الوسائل الثورية فى وقت الاستيلاء على السلطة · ولعل أقسى ما يستطيع هذا التنظيم أن يقدمه هو أن يحرك سخط الجماهير على النظام القديم ·

وهنا يقفز الى الذهن تجربة الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ كمثل واضح على ما نحن بصدده · فالجماهير هى التى اضطلعت بالثورة ابتداء ، ثم جاء الثوار بعد ذلك ليقودوا الثورة التى انفجرت فعلا بفعل الجماهير · ولعلنا لا ننسى أن بعض هؤلاء القادة الثوريين قد اتهموا بعد سنوات قليلة من قيام الثورة الفرنسية بأنهم فى الجانب المضاد للثورة أو أنهم من أنصار الثورة المضادة . والخلافات فى هذه الحالة أشد خطورة وحدة ولا سيما بعد كسر طوق النظام القديم ونضال الثوار من أجل اقامة نظام جديد محله ـ فالمنازعات فى هذه المرحلة من الثورة تؤثر تأثيرا شديدا على الحالة الصحية للثورة بل وعلى الثوار أنفسهم ·

وهذا يؤكد أهمية مشكلة الخلافات بين قادة الثورة فى داخل التنظيم الثورى اذ أن تفهمها يؤدى الى تفهم أى تغيير فى داخل البناء التنظيمى للثوار ، وطبيعة تنظيمهم والسياسات التى يعتنقونها ، وكذلك الاستراتيجية والتكتيك ·

ولقد قدم لنا « جروس Gross » تحليلا رائعا للخلافات التى حدثت فى التنظيم الثورى للثورة الروسية ١٨٢٥ ـ ١٩١٧ · وخلاصة تحليله أن الخلافات متعلقة منطقيا بفنون التنظيم ، واستراتيجيته ، والخلافات الشخصية بين زعمائه والمضامين العقائدية لهم وأهدافهم السياسية · وفى نظرنا أن التجارب الثورية تساعدنا فى محاولة اقتراح خطوط عريضة من حولها يمكن أن نخلص الى عدة فروض اختبارية هامة بصدد مشكلة الخلافات ·

ففى حالات الثورات الانجليزية والامريكية والفرنسية نستطيع أن نتبين منها أسباب مختلفة ومظاهر متباينة للخلافات عن تلك الاسباب والمظاهر التى تقدمها تجربة الثورة الشيوعية فى روسيا . فأسباب الخلافات فى الثورات الثلاث السابقة تتركز حول الخلافات التى نشأت عن السياسات التى يمكن أن تتبع بعد الثورة ، وكذلك الخلافات الشخصية بين قادة الثورة .

من كل ما سبق نستطيع أن نخلص الى أن دراسة مشكلة الخلافات هى أهم موضوعات نظرية الثورة ، بل هى جوهر هذه النظرية ولذلك يتعين دراستها بالتفصيل اذ من خلالها نستطيع تفهم عملية صنع القرارات فى داخل التنظيم الثورى وما يحدث لقادة الثورة من صعود أو هبوط أو اختفاء أو انعزال ، والى أى حد تتمشى التنظيمات الثورية أو يجب ان تتفاعل مع ظاهرة التغيير الشاملة فى نواحيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والمحيط العام للمجتمع الذى اتخذت فيه الثورة مكانها ٠

تحديد المفاهيم :

هناك بعض المفاهيم التى نستعملها فى دراستنا ولذلك يتعين علينا ان نحدد المقصود بها وفق طبيعة دراستنا كى نكون على بصيرة حين استعمالها بالرغم من أنها موجودة فى الحقول الدراسية الاخرى الا أن التعبير عنها وتحديد مقصدها هما اللذان يتغيران وفق طبيعة الدراسة ٠

اليمين ــ الوسط أو المعتدل ــ اليسار ٠

يقصد **باليمين** فى المعنى الذى نستعمله أنه يضم ذلك الفريق من المحافظين من النظام القديم وكذلك الفريق الموجود فى النظام الجديد والذى يرغب فى أن يتم التغيير بأسلوب تدريجى ، وتطور بطيىء . فهم يسعون الى تثبيت المؤسسات والقيم المتعلقة بالنظام القديم طالما أنها لا تمثل خطرا عليه .

ويقصد **بالوسط أو المعتدل** ذلك الفريق الذى يضم كل أولئك الذين يتميزون بالايجابية والتصميم فى مناشطهم السياسية لو قيسوا بالفريق الاول وهو اليمين وفى عبارة موجزة هم يسعون الى التغيير بأسلوب « معتدل » وعقيدة سياسية لاتجعلهم فى موقف معاد للعقائد الاخرى . أما مفهوم **اليسار** فيضم كل اولئك الذين يقفون فى موقع مضاد لليمين وهذا الفريق يرغب فى احداث تغيير جذرى وكلى بمعنى احداث الغاء كامل للنظام القديم والقضاء على أعوانه وهم المعارضون لهم ٠

وأود أن ألفت النظر الى أن هذه المفاهيم الثلاثة اليمين ــ الوسط ــ اليسار ليست منفصلة تماما عن بعضها البعض ، كما وأنه لا يوجد فواصل قاطعة بين الفئات التى تكونها ، ومعنى ذلك أنه يوجد نوع من التشابك والتداخل بين هذه الفئات الثلاثة كما يوجد احتمال انتقال فئة من درجة الى أخرى وبالعكس بل يمكن أن ننسب الشخص الى أكثر من فئة فى مراحل العملية الثورية . فمثلا يمكن أن يكون أحد الاشخاص من أهل اليمين فى المرحلة الاولى المبكرة للثورة ، فاذا ما اقتنعته تطور الاحداث بأنه مخطىء فى تصوره واعتقاده فانه يعيد توجيه نفسه بأن يتخذ خطوات أكثر تطرفا فيوجه نفسه توجيها أكثر انسجاما مع التغيير الذى حدث داخله ومن ثم قد ينحاز الى اليسار مباشرة دون أن يمر بالوسط . وقد يمر بالوسط أولا .

الاستراتيجية والتكتيك (الخطة الثورية) :

مفهوم الاستراتيجية يعنى الخطة العامة طويلة الاجل التى يضعها الثوار لنجاح الثورة وتحقيق اهدافها ٠

أما مفهوم التكتيك فيعنى الخطة الثورية قصيرة الاجل التى يضعها الثوار لكسب مرحلة معينة من مراحل العمليات الثورية وهى داخل استراتيجية الثورة نفسها ومن ثم فلا يجب أن يتعارض التكتيك مع الاستراتيجية وانما يجب أن يتلائم معها ويتفاعل مع خطتها ٠

القوة Power

مفهوم القوة اصبح شائع الاستعمال فى الدراسات السياسية بصورة عامة والسلوك السياسى بصورة أخص وبصدد تحليل هذا المفهوم يقفز الى الذهن اسم (Hans Morgenthau) هانز مورجنثو مؤسس المدرسة الواقعية فى علم السياسة ، او نظرية القوة ، او مدرسة (شيكاغو) ويسرف (مورجنثو) القوة بأنها سيطرة انسان على عقل وافعال انسان آخر ويميز بينها وبين القوة العسكرية والانواع الاخرى من القوة ويتفهم (مورجنثو) القوة على أنها قيام علاقة نفسية بين عقلين اى ان القوة تتسم فى نظره بالتأثير النفسى بينما القوة العسكرية تتسم بالعنف أى علاقة مادية بين جسمين(١٥) .

بيد أن هناك من يعرف القوة بأنها القدرة على السيطرة او الاستعداد لمحاولة السيطرة ، وليس وجود السيطرة ذاتها ، بمعنى بذل عناية معينة بقصد السيطرة وليس تحقيق نتيجة قوامها السيطرة ذاتها (١٦) .

ومنهم من يذهب الى أن القوة هى المقدرة على التأثير دون أن يتأثر الساعى الى القوة بالمؤثر فيهم أنفسهم(١٧) .

وفى الحقيقة فان الرغبة فى القوة بمعنى السعى الى التأثير فى غيرك وبسط النفوذ عليه أو النضال من أجل هذا النفوذ قد وجدت منذ أن خلق الله الارض ومن عليها وما محاولة حواء التأثير فى آدم كى يقترب من الشجرة المحرمة الا نوع من هذا السعى للقوة بمعنى النفوذ ، والتأثير فى سلوك الاخرين ٠ والقوة على هذا النحو متعددة الصور ومختلفة فى طبيعتها ٠ فهناك القوة السياسية ، وهناك القوة الاجتماعية والعسكرية والاقتصادية وهكذا ٠ والقوة فى الاصل اتخذت مظهرا اجتماعيا وهى كظاهرة من ظواهر النظام السياسى ومن مكوناته تتشابك وتتداخل مع غيرها على نحو ما أشرنا اليه عند بحث النظام السياسى كفرع من النظام الاجتماعى بالمعنى العام ٠

وذلك يرجع الى أن الانسان كعضو فى المجتمع له نشاطات متعددة وهو بعد مشرئب الى القوة بطبيعة الحال فى كل مناحى حياته وما قصة الحماة مع زوج

ابنتها الا نموذج حى للسعى وراء القوة بمعنى النفوذ والسيطرة فى النظام الاجتماعى بالمعنى الضيق اذ تستشعر الحماة ، رغم سعادتها بتزويج ابنتها بأن سيطرتها ونفوذها على ابنتها قد فقدت بمجرد زواجها لدخولها فى نطاق نفوذ زوجها ومن ثم فانها تناضل من أجل الابقاء على نفوذها وسيطرتها السابقة على ابنتها قبل الزواج فتسعى جاهدة الى الابقاء على نفوذها السابق وتأكيده ، وذلك بمد نفوذها وسيطرتها على زوج ابنتها على أساس أن ابنتها تخضع لسيطرته ونفوذه ، ومن ثم فانها سوف تضمن نفوذها على الاثنين وابقاء ما كان لها من نفوذ سالف .

ونجتزىء من معانى القوة فى مظهرها السياسى(١٨) فى داخل النظام السياسى وكأحد مكوناته، وهى من الجائز تعريفها على أساس النفوذ أو السيطرة أو التحكم ، لكن نرى تعريفها على أساس السلطة Authority وهى بعد ذلك الجزء من القوة الاجتماعية التى تمارس عن طريق شخص أو عضو معترف به ومقبول من الجماعة السياسية لتحقيق أغراض معينة وأهداف محددة لصالح الجماعة السياسية القائم فيها النظام السياسى ، أى من خلال مؤسسات النظام السياسى ، وفق الافكار والمبادىء العامة المكونة للجسم العقائدى فى وقت معين . ولسوف نرى من بعد القوة السياسية قد ترجمت من خلال الجسم العقائدى الى سلطة شرعية ، أى أن العقيدة تضفى على القوة السياسية صفة الشرعية وتحولها الى سلطة مقبولة من قبل الجماعة السياسية أى تحولها الى حق ، والطاعة لها الى واجب ، وذلك فى داخل النظام السياسى .

وتأسيسا على ما تقدم ، فان القوة السياسية تفترض وجود الدولة مقدما بما فيها من نظام سياسى وخصائص تواجد الدولة ذاتها .

القوة فى مظهرها السياسى(١٩)

هناك نظريتان تتنازعان دراسة القوة فى مظهرها السياسى وهما :

(أ) **نظرية الجماعة :** خلاصة هذه النظرية أنها تقول أن عملية صنع القرارات هى فى واقع الامر نتيجة لنشاط الجماعات ، وهى تفريعا على ذلك تعنى بدراسة عملية صنع القرارات كأثر لنشاط الجماعات السياسية ، ومن ثم نجد أن جوهر دراسة النظرية فى الحقيقة هو نشاطات الجماعات السياسية التى تتضمن حقيقة المظهر السياسى للقوة والنضال من أجل السلطة . ومعنى ذلك أنه يجب دراسة تكوين هذه الجماعات ، ونشاطها ، وكيفية ممارسة أنشطتها والصراع على السلطة فى داخلها ، ومقارنة أنواع مختلف الجماعات السياسية والتعرف على أهداف هذه الجماعات ، والعضوية فيها ، وتركيب قيادتها وتشكيل زعامتها والمصادر الفنية التى تستعملها لكسب ثقة الجماهير، كل ذلك مع دراسة العقيدة التى تؤمن بها الجماعة، ومقارنة العقائد المتعددة أن وجدت ، ومدى تأثير هذه العقيدة أو العقائد فى الفرد .

هذه النظرية فى الواقع يمكن استعمالها والاستفادة منها فى داخل النظم

السياسية المتقدمة لانها تهتم بنشاط المجتمعات المتقدمة ، ومن ثم فان ذلك يتوفر فى داخل النظم السياسية المتمتعة برقى سياسى كبير · وهذه النظرية تفيد فى ايضاح الظواهر السياسية لا تفسيرها ·

(ب) نظرية الطبقة : هذه النظرية جزء من الفكر الماركسي وهى قد تفيد فى الدراسة المقارنة لبعض النظم السياسية ، بمعنى اننا قد نستفيد بها لو حاولنا تحديد نظام الطبقات فى داخل المجتمع ، والمنازعات التى تحدث نتيجة التركيب الطبقى ويمكن الافادة من هذه النظرية حينما نتصدى لدراسة ظاهرة الثورات أو التغيير المفاجىء فى النظام .

وجوهر هذه النظرية انها تفترض انه فى أوقات معينة وتحت شروط محددة توجد جماعات أو طبقات تميل الى الاتحاد بقصد حماية أغراض مشتركة وعامة لهذه الطبقات وحماية قيم معينة أو يكون العكس ·فقد يكون جنوح هذه الطبقات الى الوحدة بقصد تحدى قيم معينة ، أو أغراض جماعات أخرى . هذه النظرية يمكن الافادة بها فى غير المجتمعات الديمقراطية لانه فى المجتمعات الديمقراطية تكون المناقشة مفتوحة أمام الجميع ، وتكوين المشكلة محل القرار يأخذ وقتا معينا لدراستها وتقريعا على ذلك تترك وسائل الاعلام فى مناقشة المشكلة على عكس الحال فى المجتمعات المقفولة أو المغلقة ·

ويمكن أيضا الاستفادة من النظرية فى دراسة التغييرات المفاجئة فى داخل النظام السياسى وتميز هذه النظرية بين خصائص موضوعية وشخصية فى مكوناتها :

(أ) فالخصائص الموضوعية تبنى على معايير اقتصادية كالدخل والملكية بصفة عامة ، وملكية الارض بصفة خاصة أو وضع اجتماعى معين .

(ب) والخصائص الشخصية : يمكن التعرف عليها من خلال العقيدة السياسية ودراسة القيادة والعنصر الانسانى داخل مفهوم الزعامة . بعبارة موجزة **نظرية الطبقة يمكن أن تكون كعامل مساعد فى تحليل قيم معينة نستطيع** التعرف عليها من دراسة الثورات أو التغيير المفاجىء فى أى عنصر من عناصر النظام السياسى ، ولكنها غير مفيدة فى النظم الديمقراطية المتقدمة .

وسائل القوة السياسية :

حين نحاول التعرف على الوسائل التى تمارس من خلالها القوة فى مظهرها السياسى **لابد من التفرقة بين النظم الديمقراطية والنظم غير الديمقراطية ، أى** مراعاة طبيعة النظام السياسى . ففى النظم الديمقراطية الوسائل متعددة بعكس الحال فى النظم غير الديمقراطية .

وبصفة عامة يمكن اجمال الوسائل فى داخل أى نظام سياسى بصرف النظر عن طبيعته فى :

(أ) ملكية الارض .
(ب) الملكية بصفة عامة .
(ج) الجيش .
(د) الجماعات الدينية .
(هـ) وسائل الاعلام .
(و) السيطرة على عمليات صنع القرارات .

وقد يغلب عنصر على آخر فى داخل النظام السياسى فتسود وسيلة على أخرى وذلك وفق طبيعة النظام السياسى ومقدار تقدمه .

العقيـــدة Ideology

اذا ما حاولنا التعرف على ماهية العقيدة ومحاولة تعريف هذا المفهوم نجد أنه يوجد تعريفات متعددة لهذا المفهوم بقدر ما يوجد من كتاب له .

وتتعدد العقائد بتعدد طبيعة موضوع العقيدة . وسوف نقتصر فى دراستنا هذه على العقيدة فى معناها السياسى (العقيدة السياسية) . اذا ما حاولنا تأصيل تعاريف الكتاب لمفهوم العقيدة السياسية فان تعاريفهم تدور حـــول الاتى : « يقصد بالعقيدة السياسية مجموع الافكار والاعتقادات المتعلقـــة بالدولة والحكومة التى تكون جوهر العقيدة ، وفى ذات الوقت مصدر الطاعة الدائم للقوى السياسية » . ويلاحظ أنه بدون اعتقاد مشترك ما كان المجتمع ينهض الى مستوى الجماعة السياسية . وبدون افكار مقبولة ومعترف بهـــا من الاغلبية ، ما كان للعمل المشترك أن يتواجد أو يقبل كعمل جماعى ، وبدون هذا العمل المشترك ما كان للمجتمع أن يعيش كجسم اجتماعى ، ومن ثم فانه من الضرورى أن يجنح المجتمع ويصمم على أفكار معينة واعتقادات محـــددة ويتفاعل فى داخل عقول الجماعة السياســـية ، ويتفاعل عقل هذه الجماعة ككل مع هذه الافكار والاعتقادات (٢٠) .

تقسيم العقيـــدة السياسية :

قسم Avery Leiserson افرى ليسرسن العقيدة السياسية الى **ثلاثة أنواع من العقيدة هى :**

(أ) عقيدة مطلقـــة .
(ب) عقيـــدة متحكمة .
(جـ) عقيـــدة محددة .

وقد قسمها بعض الكتاب الاخرين الى :

(أ) عقيدة مطلقة .

(ب) عقيدة دستورية .

(ج) عقيدة فردية .

(د) عقيدة اجتماعية جماعية .

(هـ) عقيدة القيادة .

(و) عقيدة القومية .

ولكنى أرى تقسيمها الى : (أ) عقيدة مطلقة . (ب) عقيدة محددة .

والتساؤل الان ماهى العقيدة المطلقة ؟ وماهى العقيدة المحددة ؟

أولا ــ العقيدة المطلقة :

يقصد بالعقيدة المطلقة الافكار والمبادىء التى تتسم بالاطلاق فى طبيعتها والتى يجب تنفيذها بواسطة تنظيمات لها سلطات مطلقة وتكون بصفة عامة بعض الاعتقادات البشرية فى صورتها المطلقة والقوانين العامة فى قالب مذهبى ومن العقائد التى يمكن ادراجها تحت هذا النوع العقيدة « الماركسية » .

وتتميز هذه العقيدة بالاطلاق وبأنها تحتاج الى شىء من العنف فى تنفيذ المبادىء المنبثقة منها . بعبارة أخرى العقيدة المطلقة عنصر العنف فيها واضح وأغراضها غير محددة فى مرحلتها النهائية .

ثانيا ــ العقيدة المحددة :

وهى تعنى فى عبارة موجزة المجموع المنظم للمعقوليات لمختلف الجماعات السياسية والتى تعبر بوضوح عن قيامها ، وتتميز بأنها تتضمن فى جوهرها الحريات الفردية وحماية الحقوق العامة . وهى تتواجد فى الجماعات غير « البلشفية » ومن أمثلتها القومية العربية والديمقراطية .

دور العقيدة :

يتلخص دور العقيدة السياسية بأنه يضفى صفة الشرعية على القوى المنظمة والمتواجدة فى الدولة ، وشرعية القوى تؤدى الى ايجاد سلطة شرعية ، وهى تحول السلطة الى حق والطاعة الى واجب . وظاهرة العقيدة فى داخل النظام السياسى تشير الى الاهداف والسلوك التى يتميز بها المجتمع محل الدراسة . بعبارة أخرى العقيدة تعنى جوهر الاعتقادات والسلوك الذى يتعلق بعملية صنع القرارات والذى يضفى صفة الشرعية على القوى التى تقف وراء ذلك والتنظيم

السياسى فى النظام السياسى ويمكن بواسطتها التعرف على وحدات القوى فى داخل الجماعة السياسية والطريقة التى تكونت بها والعلاقات القائمة أوالتى يمكن أن تقوم بين جماعات القوى .

مصـــادر العقيـــدة :

تستمد العقيدة من القيم والمعقوليات التى تتفاعل فى الجماعات السياسية فى وقت معين وهى بعد نتيجةأو تراث أفكار ومعتقداتمرت بها الجماعة الانسانية فى تاريخها الطويل . ومصدر العقيدة المعينة المتواجدة فى بلد معين اما أن تكون منبعثة من قيم هذا البلد المعين ، أو مستخلصة من معتقداته ومبادئه الخاصة ويمكن أن نطلق عليها عقيدة محلية كعقيدة القومية العربية .

واما أن تكون عقيدة مستوردة من خارج هذا البلد المعينمحل الدراسة وهى بعـــد ثمرة من ثمـــار الافكار والمعتقـــدات العـــامة لمذهب معين كتواجد العقيدة « الماركسية » فى « روسيا والصين » . والعقيدة هى من مستلزمات المجتمع وهى بعد متواجدة بصورة أو أخرى فى جميع الجماعات السياسية، وأخطر شىء يصيب النظام السياسى هو تعدد العقائد أو تضاربها فقد توجد أكثر من عقيدة فى مجتمع سياسى معين . ذلك أن دراسة العقيدة لا تستلزم دراسة عقيدة معينة فى مجتمع معين ولكن قد تتعدد العقائد ولكنها تسير جميعا نحو هدف معين ، فالوسائل تختلف ولكن الهدف متحد وهنا قد لا يصيب النظام السياسى الخطر وهو أن تتعدد العقائد المتضاربة فى وسائلها وأهدافها .

وسائل نشر العقيدة :

العقيدة كما نعلم تنتشر بوسائل متعددة طبقا لظروف المدنية وظروف تقدم وسائل الاعلام . فمنـــذ القدم كانت الوسيلة لنشر العقيدة هى الانتقـــال الشخصى ، لذلك كانت المناطق المتجاورة تحيا فى عقيدة واحدة ، وفى الظروف الحديثة معتقدم وسائل الاعلامتعددتوسائلنشر العقيدة وقديذهبالبعضالى أن القوى الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية تستخدم كوسيلة لنشر العقيدة لكن هذا محل نظر. فالقوى المختلفة للولايات المتحدة لم تستطع وهى على قرب من البلاد المتواجدة فى «أمريكا» الجنوبية أن تؤثر فىالمعتقدات المختلفة لتلك المنطقة ، ثم انالنظام السياسى ذاته عنصر مهم فى شأن قبول أوعدم قبولعقيدة ما ومن جهة أخرى فان استقرار النظام السياسى ونجاحه قد لا يساعد على تقبل عقيدة أخرى فتستشعر الجماعة السياسية التى تقيم فى النظام السياسى أنها راغبة عن العقيدة وليست راغبة فيها.يعنى أنه ليس فقط المهم نشر العقيدة بل يجب أن يكون هناك استعداد لسماع وقبول العقيدة .

وظيفة العقيدة :

قلنا أن دور العقيدة هو اضفاء صفة الشرعية علىالقوة السياسيةفىالنظام السياسى وشرعية القوة تؤدى الى تواجد سلطة شرعية ، ومتىوجدت السلطة

الشرعية فانها تحول (أو هكذا يجب أن تفعل) السلطة فى جوهرها الى حق ، وتحول الطاعة التى يجب أن تكون لهذه السلطة من قبل الجماعة السياسية الى واجب من قبل الجماعة لهذا الحق . ولذلك فان العقيدة هى التى تجعل الفرد يندفع الى عمل معين أو الى الامتناع عنه . وهذا يرجع الى احساس داخلى مصدره الايمان ومصدر هذا الايمان الاعتقاد ، ومرجع الاعتقاد هو العقيدة فعقل الفرد يتفاعل مع عقيدته كفرد كما يتفاعل مع المؤمنين بهذه العقيدة داخل الاطار العام لها ، ودراسة وظيفة العقيدة هى بدورها دراسة للمفكرين الذين شيدوا هذه العقيدة ، ودراسة أيضا للقادة وللزعماء ، ومن ثم فهى فى مفهومها الواسع دراسة للمحيط الذى نشأت فيه العقيدة ، فمن هذا المحيط نستطيع أن نستخلص وظيفة العقيدة كما أبانها مفكروا هذه العقيدة .

المـــراجع

(١) **Gross, Feliks,** The Seizure of Political Power, Philosophical Library, New York, 1958. p. XV.

(٢) **Pettee, George Sawyer,** The Process of Revolution, Harper & Brothers, New York, 1938. pp. 1 — 4.

(٣) **The Labor Research Study Group,** The Law of Social Revolution, Social Science Publishers, New York, 1926. pp. 4 — 6.

(٤) **Brinton, Gane,** The Anatom of Revolution, Prentice-Hall, inc., New York, 1952. p. 270
and
Sorokin, Pitirim, A., The Sociology of Revolution, **Lippincott** Company, Philadelphia, 1925. ch. 2 and Marx Karl Communist Manifesto.

(٥) **Pareto, Vilfredo,** The Mind and Society, Harcourt Brace & Company, New York, 1935. Volume IV.

(٦) **Brinton,** op. cit Chapters 5 - 6.

(٧) **Sorokin,** op. cit., Chapters 3, 10.

(٨) **Brinton,** op. cit., pp. 264 - 283 and Pettee, op. cit., Chapter 2 - 3.

(٩) **Brinton,** op. cit., p. 85.

(١٠) **Mosca, Gaetano,** The Elte, University of Michigan Press, Ann Arbor, 1958. pp. 16 - 17.
and **Pareto,** p. 93.

(١١) **Moore, Barrington,** Political Power and Social Theory, Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1958. pp. 17 - 27.

(١٢) **Pettee** op. cit., p. 19.

(١٣) **Reshetor, John,** A concise History of the Communist Party of the Soviet Union, Frederick A. Prager Publishers, New York, 1960 pp. 5 - 12.

(١٤) **Gross** op. cit., pp. 63 - 238.

(١٥) **Morgenthau, Hans,** Politics Among Nations, Knopf, New York, 1960. pp. 9 - 31.

(١٦) **Marriom, Charles,** Political Power, New York, 1948. Introd., pp. 3 - 14.

(١٧) **Brecht, Arnold,** Political Theory, Princeton, New Jersey, 1959. pp. 345 - 348.

(١٨) **Easton, David,** The Political System, Alfred A. Knopf, New York, 1960. pp. 115 - 124.

(١٩) **Lasswell, Harold,** Politics, Who Gets What, When, How, The World Publishing Company, New York, 1964. pp. 13 - 27.

(٢٠) **Darwish, Ibrahim,** Theory of Revolution, American University, Washington, D.C. 1965, pp. 148 - 157.